٢

مرحلة حد السيف!!

هناك خط أحب أن أسميه دائماً "**حد السيف**" وهذا الخط مقتضاه أن (جمال عبد الناصر) يدرك أنه في هذا الصراع القادم سينتهى بشكل أو بآخر.. والصراع الدولى القادم سينتهى بشكل أو بآخر.. والاتحاد السوفيتى تغير عدة أمور فيه.. وأن هناك حرباً باردة.. وهذه الحرب سوف تنتهى بفوز أمريكى.. لكن طبقا لما سمعناه من جنرال ديبو أن أمريكا ستخرج متعبة جداً من هذه الحرب.

أولاً : المقاومة المصرية هى الأساس..

ثانياً: ضرورة بناء جبهة شرقية لكى لا يكون الصراع مصرى/ إسرائيلى.. ولكن عربى / إسرائيلى.. وفلسطين هى محوره حتى في الحرب المصرية..

الثالث والأهم: هو كيف يمكن رفع درجة الصراع ولو بأى قدر من المستوى الوطنى إلى المستوى الإقليمى والدولى.. وكيف نجعل الاتحاد السوفيتى في بعض اللحظات يشرع أنه يقاتل في وطنه.. ويقاتل من أجله هو أيضاً يمسه وهو أيضاً قضية أمنه.

ومن هنا بدأ وجود سياسة حد السيف.. قلتها لـ(جمال عبد الناصر) هذه السياسة بتصورات هذه المرونة بتصورات هذا التنبه بتصوراته التى تقتضى الاتصال بالأمريكان لا يمكن استبعادهم وبتصورات أوروبية.. ولكن نعتمد في الدرجة الأولى على الاتحاد السوفيتى كسند سياسى وكمورد سلاح هذه.. وكان رأى (جمال عبد الناصر) أن الأمر يقتضى الصبر.. وأننا بعد المعارك وإعادة التنظير وما جرى.. فنحن في حاجة إلى فتح أبواب الاتحاد السوفيتى بسرعة.. وأى هرولة للاتحاد السوفيتى قد تظهر أمامهم في هذه الظروف المعقدة بأننا ذاهبين إليهم لاجئين.. وهذا أسوأ وضع يمكن أن توضع فيه أمة أو شعب خصوصاً في مثل هذه المرحلة معقدة للغاية.

كيف نفتح الباب؟

القضية كانت كيف نفتح الباب.. خصوصاً أن الاتحاد السوفيتى مأخوذ بشكل ما بما جرى.. والزعماء بعضهم ذهبوا في أ جازة.. والقيادة الثلاثية و(كوستيجن) موجودون في موسكو.. وبرجيت كان موجوداً على البحر الأسود.. وكان من الواضح أن الأزمة سارت بأسرع مما كان متوقع.. فهم صدموا ونحن أيضاً صدمنا.. وأعدنا ترتيب أوضاعنا بضرورات الأشياء لأن تعيين قيادة جديدة كان لا يحتاج لمناقشة.. وتعيين مجلس أركان حرب جديد أمر لا يحتاج مناقشة ونحن كنا نتكلم من الناحية السياسية.

الضغط على السوفيت

أمامى الآن بعض الوثائق الخاصة بهذه المرحلة فهنا رسالة تبين حالة الاتحاد السوفيتى من مراد غالب السفير المصرى في موسكو آنذاك يقول فيها أن السوفيت يشعرون بحرج شديد جداً لأن هناك تصريحات في الصحف في القاهرة وغير القاهرة تحاول أن تلصق تهماً من بينها التلميح باشتراكهم في مؤامرة ضد العالم العربى مع الأمريكان.. الأمر الثانى لاتزال المعركة دائرة ضد الاستعمار الغربى وعلى رأسه الولايات المتحدة.

الكلام كان في القاهرة أن الروس خذلونا.. ولكن طبائع الأشياء كانت تحتم الاعتماد عليهم لدرجة معينة.. وحقائق الأشياء كانت تبين أن الآخرين أخذتهم الأزمة.. لكنهم يجابهون بلوم شديدا في القاهرة.. وغير القاهرة لأن العواصم العربية كانت مستفزة.

ومن الطبيعى أن يكون مراد غالب في موسكو قلقاً.. والغريب أن رده جاء بمعنى أننا إذا ذهبنا للاتحاد السوفيتى إذن سيأخذ موقفنا مساراً آخر لأنه لا مجال لأحد في العالم الدولى أن يقنع الآخرين بمساعدات بدعوى العطف.. فالعاطفة في اللغة الدولية ليس لها وجود.. الموجود فقط هو الحقائق المجردة.. وهذا ما يعتمد في هذه اللحظة ونحن محرجين دولياً لأبعد مدى بعد المعركة.. وبعد الصدمة بصرف النظر عن كل ما حدث.. لكن المجتمع الدولى.. وبالتالى نحن.. في احتياج للاتحاد السوفيتى.. ولكن بشكل معين وبطريقة وبأسلوب مختلف.

وينتهز الرئيس (جمال عبد الناصر) حاجة الرئيس العراقى عبدالرحمن عارف للاتحاد السوفيتى لأنه يريد أن يأخذ سلاحاً أكثر مما أخذه بالفعل بعد أن أعطوه أسلحة دفاعية.. وأن الأمريكان كانوا سيعطونه أسلحة أكثر.

والمعروف أن الرئيس عبدالرحمن عارف بطبيعته رجل خجول وهادئ ولا يتحدث كثيرا.. لكن بومدين قائد التحرير الجزائرى وهو أزهرى تعلم في الأزهر وثورى عاش الثورة في الداخل.. عموماً ذهب عبدالرحمن عارف وبومدين إلى موسكو.. وكان بومدين يستطيع أن يقول كلاما لا أحد غيره يستطيع قوله.. فهو الذي دفع ثمن الأسلحة مقدما بشيك بمائة مليون إسترلينى وطالب وقتها بالسلاح.. لكن (كوستيجن) رفض هذا العرض وقال أن الاتحاد السوفيتى ليس تاجراً للسلاح.. ونجد (كوستيجن) يقول له إنهم أعطوهم أفضل الأسلحة وأنهم سلموها لإسرائيل.. وأنهم حصلوا على الطائرات والدبابات.. وأن الأسلحة التى يتحدثون عنها غير كافية.. ولا ذات كفاءة.. ويحارب بها الفيتناميون.. ولم يكن يعرف أحد وقتها الرد على بومدين فقال له أننا رجال لا نعرف إلا قيادة الإبل فإذا أردتم أن تحاربوا معنا فلا أمانع وأرسلوا لنا خبراء وقوات دفاع جوى.. ولم يكن حديث بومدين بحدة لكن هناك من أبلغ الاتحاد السوفيتى.. أن هناك حالة استياء عربى من ترددهم إلى آخره.

لكن كلام بومدين له أصداء نسمعها ونضعها في سياقها وتبدو أمامنا أنها متسقة مع صورة عامة معينة.. وأجد فجأة دون مقدمات والطرف المصرى صامت لا يتحدث.. تاركاً حملات على الاتحاد السوفيتى.. ليعيد تقدير موقفه ويحاول فهمه ويترك زعماء آخرين عرب يتحدثون بقوة في هذه الظروف لكن أجد فجأة رسالة قادمة والقادة العرب في موسكو من مرشن زاخروف للفريق فوزى تقول إنهم سيحضرون ويطالبون ببدء المحادثات على الفور.

وينقل الفريق فوزى ما قيل له لـ(جمال عبد الناصر) ولم تكن هناك مقدمات.. وأرسلت هذه الرسالة من الملحق العسكرى في موسكو ووزارة الدفاع أبلغه وزير الدفاع أن هناك وفداً عسكرياً برئاسة مارشال زاخراوف في طريقه إلى مصر.. وأنه يريد محادثات على أعلى مستوى فأبلغ الفريق فوزى.. وكان هذا كله خارجاً عن القنوات الدبلوماسية.. وقال (جمال عبد الناصر) للـ (فريق فوزى) أنا لا أتقدم بطلبات.. ونحن أناس بحاجة إلى التعاون معهم.. ولكن مع الأخذ في الاعتبار الحفاظ على كرامتنا.. وهناك وفد عربى موجود.. وهناك كلام قاسى يمكن أن يُنقل لهم هناك.. وأنا أتذكر الفريق فوزى وهو خارج عندما قال له (عبد الناصر) أنه يعرف أيضاً كيف ومتى يحتد.. فقد تعلم مثله في الكلية الحربية الضبط والربط.. وأنه هذه المرة يريده ألا يتحدث وينتظر حتى يسمع منهم.

أمامى المحضر الذي كتبه الوفد السوفيتى والقادم كان على أعلى مستوى ونحن نريد أن نكون عسكريين دون أن ننسى أن هؤلاء العسكريين أنهم في أدوار مدنية مؤثرة حتى هذه اللحظة.. ويعرفون أن هناك تشققات.. ويشعرون أن وراء الصورة السوفيتية تشققات.. ويبقى في هذه اللحظة دولة كبرى تتكلم.. ويبقى أن أمامى في هذه اللحظة دولة عظمى تتكلم ولديها ما يسند أقوالها و يرفع صوتها.. وعلى أى حال لم يكن لدينا خيار في ذلك الوقت.

وفد على أعلى المستويات

وإذا نظرنا للوفد السوفيتى.. أعلى وفد سوفيتى يمكن أن يتصوره أحد.. وكان يضم القيادات التالية:

- مارشال زخاروف رئيس أركان حرب الجيش السوفيتى..
- المارشال لتشكوف خبير تنظيم عسكرى..
- الجنرال شجالوف..
- الجنرال تشتكسف..

ومعهم حوالى ١٢ جنرالاً من أفضل القيادات العسكرية بالاتحاد السوفيتى.. بالنسبة للوفد المصرى كان أعلى رتبة فيه هو الفريق فوزى.. والفريق مدكور أبو العز[1] وكان

---

(١) وُلِدَ الفريق مدكور أبو العز سنة ١٩١١بكفر سعد البلد بمحافظة دمياط.. وتوفي عام ٢٠٠٦م.. عُينَ قائداً للقوات الجوية المصرية بعد حرب ١٩٦٧ بمجرد توليه قيادة القوات الجوية أعاد تأسيسها وتحديثها في حرب ١٩٧٣ ظل في

قائد طيران.. وأعتقد أنه كان له دور مهم جداً.. ولم يستطيع أن يكمل دوره لأسباب متعلقه به وبتصوراته.. وكان من أهمهم أيضاً اللواء محمد علي فهمي.. وأعتقد أنه من أهم شخصيات حرب أكتوبر فيما بعد.

وبالنسبة لهذه التعليمات وكيف نفذها محمد فوزي؟

اعتقد أنه حتى هذه اللحظة أنه زودها حبتين.. ويقول المحضر أنه «بدأ بترحيب الفريق محمد فوزى لمرشال زخاروف ومجموعته.. ثم استفسر سيادته عن الغرض من حضورهم.. وعن برنامج الزيارة المقترح".. أنا أريد أن يأتوا وأريد أن أتحدث معهم.. لكن الفريق فوزي كان يسأل لماذا أتيتم تحديداً.

وتتلخص إجابة مارشال زخاروف في أن الغرض من الزيارة هو المعاونة في رفع كفاءة القوات المسلحة وتلبية مطالبها في أقرب وقت ممكن.. وحتى هذه اللحظة عبدالرحمن عارف تحدث عن طلباته وبومدين تحدث أيضاً ولم نكن قد تقدمنا سريعاً.. وهم يأتون الآن للسؤال عن طلباتنا.. ولتحقيق هذا الغرض وضمان وصول هذه الطلبات في أقرب وقت إلى آخره.. واقترح أن يرى الميدان.. والمساعدين ونقاط الضعف.. وقال لهم فوزى أنهم مسئولون عما جرى.. وواجبه أن يشرح للقائد العام تطورات الموقف لغرض وضع زخاروف في الصورة.. وإبراز نقاط أساسية.. والحشود.. وكل المعلومات على الجانب السورى إلى آخره.. وقال مارشال زخاروف أن تصوراتهم في الأولويات كما رأوها من بعيد وشعروا أن ضرب الطيران كان كبيراً.. وشعروا بضرورة دعم القوات المسلحة والدفاع المدنى ثم تحدث عن فيتنام وما حدث فيها.. واتفقوا في النهاية على أن يقدم الاتحاد السوفيتى ما نريده من أسلحة.

ممارسة العمل السياسي عن طريق الدبلوماسية

حول كيفية ممارسة العمل السياسى عن طريق الدبلوماسية متعددة الاتجاهات والقنوات والوسائل خصص هيكل إحدى حلقات التجربة.. وقال:

أنه لكى يتحقق هدف متفق عليه ومطلوب لصالح بلد يمر بمرحلة شديدة الخطورة مثل تلك التى أسماها (جمال عبد الناصر) "سياسة حد السيف" التى تَمَسَكَ بها بعد صدمة يونيو.

موقعه هذا حتى ٢٤ أبريل١٩٧٢ وكان قائداً ومدرباً للرئيس حسني مبارك على الطيران.. اتسم بوطنيته وحبه الشديد لمصر وطوال حياته لم ينتمِ لأحزاب سياسية..

ويقول هيكل:

أنه كان للجيش الدبلوماسى فى هذا العمل ثلاث اتجاهات.. وقديماً كان هناك مسلك واحد وهو أن السياسة تمارس بواسطة وزراء كبار.. مثل ريشوليو فى فرنسا[1].. وهيتيرتيخ فى النمسا.. والعمل كله مركز فى شخص الوزير المسئول وهو يدير كل شيء وكل نواحى العمل.

بعد الثورة الأمريكية[2] ودخول عنصر آخر شعبى وفاعل فى العمل السياسى أصبح يحكم العمل السياسى تقريباً ثلاث اتجاهات واضحة.. هى كالتالي:

- الدبلوماسية المباشرة التى تقوم بها وزارة الخارجية..
- غير المباشرة التى يمكن أن تجرى بواسطة اتصالات شخصية أو مفهومة ومعروفة أو طرق جانبية تقوم بالالتفاف لحل مشكلات قبل أن تستطيع الدبلوماسية المباشرة أن تواجهها.
- الدبلوماسية العامة وهى الدبلوماسية الموجهة للشعوب وكسب الرأى العام..

وأنا أعتقد أنه فى فترة الأزمة.. أدرنا مرحلة صعبة جداً بهذه الوسائل الثلاثة معاً.. لأنه فى أعقاب الصدمة كانت علاقتنا مع الاتحاد السوفيتى وفتح الأبواب معه مرغوباً فيها من الجانبين.

وكانت لدينا مصلحة فى تأييد الاتحاد السوفيتى.. والأخير كانت له مصلحة فى الوصول للعالم العربى.. وهو مورد السلاح الوحيد لنا وقد ذكرت سابقاً كيف بدأ الاتحاد السوفيتى فى إجراء اتصالات وإرسال وفد عسكرى سوفيتى.. وجاء لنا رئيس الاتحاد السوفيتى نفسه.. وذكرت كيف انفتح لنا الباب من موسكو بعد فترة من سوء الفهم وسوء التقدير وسوء الظن التى أعقبت حرب (٦٧).

---

(١) أرماند جان دو بلاسيس دو ريشيليو (Armand Jean du Plessis de Richelieu) أو الكاردينال ريشيليو عاش بين تاريخي (٩ سبتمبر ١٥٨٥ - ٤ ديسمبر ١٦٤٢) وهو رجل دولة ودين ونبيل فرنسي.. كان وزير الملك الفرنسي لويس الثالث عشر.. ثم أصبح كاردينالا سنة ١٦٢٢ ومن ثم أصبح سيد الوزراء لدى لويس الثالث عشر سنة ١٦٢٢ حتى وفاته سنة ١٦٤٢ وهو من خريجي السوربون ومؤسس أكاديمية اللغة الفرنسية.. يعتبر أول رئيس وزراء فى التاريخ. عند وفاته لم يكون محبوباً لدى الشعب بسبب القرارات التي اتخذها مما جعل الشعب يحتفل بإطلاق الألعاب النارية عندما عند إعلان وفاته.. استعمله الكسندر دوما كأحد شخصيات الفرسان الثلاثة.

(٢) الثورة الأمريكية تشير إلى الأحداث التي وقعت فى أواخر القرن الثامن عشر والتي قامت ضد بريطانيا.. وأدت إلى استقلال الولايات المتحدة عن الإمبراطورية البريطانية.

مرحلة بناء الجسور

لكن كان أهم من فتح الأبواب مع الاتحاد السوفيتى هو بناء جسور مع العالم الآخر.. ومع العالم الأوروبى أولاً.. ومع أمريكا ثانياً.. وعلى الرغم من أهمية أمريكا إلا أن أوروبا كانت هى الأقرب.. وكانت مطلوبة لعدة أسباب من أجل تحقيق أو ضمان نجاح سياسة حد السيف.. وقيل عن علاقتنا في ذلك الوقت مع الاتحاد السوفيتى أننا بشكل أو بآخر نفقد بريق جزء من القضايا.. وأننا ظهرنا كما لو أننا في إطار أو غطاء أو تبعية للاتحاد السوفيتى.. وأن هذا كله لا يمكن قبوله.

وبالتالى كان مطلوباً في ذلك الوقت أن نقيم علاقات مع أوروبا وبأسرع ما يمكن.. وأتذكر قول (جمال عبد الناصر) في ذلك الوقت لو لم تكن لنا علاقات حقيقية مع أوروبا لا بد من أن نحاول التصور أنها موجودة.. والتصرف على هذا الأساس.. ثم العمل على إيجادها.. وكان هذا دائماً في ذهن فرنسا.. وكانت الأقرب للانفتاح معنا لعدة أسباب.. الشيء الأول أنه أننا كنا سبب المشكلة بين الجزائر وفرنسا.. والشيء الثانى هو أن جنرال (شارل ديجول)[1] أتى وهو لديه عقدة تاريخية تقريباً من إنجلترا وأمريكا.. وكان يأمل أن تلعب فرنسا دورا مؤثراً في الأحداث.

---

(١) شارل ديجول (١٨٩٠ - ١٩٧٠) أول رئيس للجمهورية الفرنسية الخامسة.. وينظر الفرنسيون إليه باعتباره الأب الروحي للجمهورية الفرنسية.. ويرجع كثير من الفرنسيين الفضل إليه في استقلال بلادهم من الجيوش النازية أثناء الحرب العالمية الثانية إذ لم يتوقف وهو في لندن من إطلاق الشعارات التي كانت تلهب قلوب الفرنسيين وتدفعهم إلى المقاومة.. ومن أشهر نداءاته "أيها الفرنسيون لقد خسرنا معركة لكننا لم نخسر الحرب.. وسوف نناضل حتى نحرر بلدنا الحبيب من نير الاحتلال الجاثم على صدره". وينعكس تقدير هذا الرجل بشكل واضح في العاصمة باريس إذ تم تسميه العديد من المرافق الحيوية باسم الجنرال مثل (المطار.. الشوارع، المتاحف ومحطات القطارات) له عدة كتب حول موضوع الاستراتيجية والتصورالسياسي والعسكري.. في يناير ١٩٤٠ قاد مقاومة بلاده في الحرب العالمية الثانية وترأس حكومة فرنسا الحرة في لندن في ١٨ يناير.. وفي سنة ١٩٤٣ ترأس اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني والتي أصبحت في يونيو ١٩٤٤ تسمى بالحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية.. عرف بمناوراته الاستعمارية تجاه الجزائر.. منها مشروع قسنطينة.. القوة الثالثة.. الجزائر جزائرية .. مشروع فصل الصحراء الجزائرية سلم الشجعان . توفي في عام ١٩٧٠.

جسور مع أوروبا

حاول (ديجول) صناعة هذا الدور المؤثر أول ما بدأت أزمة إغلاق خليج العقبة والتى كانت تهدد بانفجار عالمى كبير دعا (شارل ديجول) لمؤتمر رباعى.. وكان في ذهنه باستمرار أن فرنسا متساوية مع إنجلترا.. وأمريكا.. والاتحاد السوفيتى.. وفكرة القمم الرباعية هى قمة العالم في ذلك الوقت كما كان يسميها تشرشل هم الأربعة دول دائمى العضوية في مجلس الأمن.. وكانت الصين وقتها هى العضو الخامس الذي أصر على وجوده الأمريكان.

وبينما كان العالم كله لا يعترف بالصين.. كنا نحن نعترف بها.. وبعد دعوة (ديجول) لعقد القمة الرباعية.. كان هناك رفض لوجود فرنسا في ذلك الوقت.. وكذلك أن يقوم (ديجول) بفعل أى شيء.. وبدا أن هناك معارضة أمريكية لاقتراح (ديجول) لأسباب خاصة بهم.. وكل الناس عارضوه حتى نحن.. وكذلك الإسرائيليون عارضوه مصممين على تحقيق نصر كاسح على مصر.

أما نحن فكنا غير راغبين في الذهاب في إطار قمة رباعية قد تفرض علينا ما لا نريده.. وقد تتخذ قرارات من الصعب جداً تحديها.. ونحن هنا أمام فعل مباشر.. وقُوىَ مؤثرة في العالم.. ولسنا أمام قرار من الأمم المتحدة أو قرار من مجلس الأمن.. وهنا إذا اجتمع رؤساء أهم ٤ دول في العالم.. وصدرت توصيات وقرارات بشأن حل القضية.. ففي هذه الظروف غير المواتية.. قد نجد قراراتهم فرضاً علينا.. وأكثر مما نستطيع قبوله.

وعندما وجد (ديجول) أن اقتراحه باء بالفشل.. أظن أنه بدأت الاتصالات غير الرسمية في هذه الفترة.. ونحن في هذه المرحلة الصعبة والصدمة التى تعرضنا لها أن يخرج للعالم ويتحدث بلهجة قوة.. وأن أى قوى خارجية لا بد أن يعبر عنها قوى داخلية.. ولا أحد يستطيع التحدث في العالم الخارجى بصوت أعلى من موازين القوى التى يعيش العلم تحت مظلتها.

وأول أفكار بدأت تأتى لنا عن فرنسا موجودة في وثائق وهى واضحة أمامى وأريد أن أجعلها دراسة أكثر منها رواية.

جاء ذلك في أول اتصال مع فرنسا أجراه الاتحاد السوفيتى وتصادف أن رئيس الوزراء (كوسيجين) كان قد عاد وقتها من أمريكا بعد مقابلته للرئيس الأمريكى (جونسون).

وقبل رجوعه بلده قابل الجنرال (ديجول) في باريس وكان الأخير له رأى مشهور في ذلك الوقت.. في مؤتمر القمة العربية.. وعلى مستوى العالم.. وقد سقط اقتراح (ديجول) ولم يُنفذ.

وزار سفير الاتحاد السوفيتى في اليوم الثانى من المقابلة وطلب منه أن يبلغ عبدالمنعم النجار السفير المصرى في باريس آنذاك.. ويطلعه على فحوى ما جرى مع (ديجول) ورئيس الوزراء السوفيتى.. وقال للنجار أنه لمس بعض المناقشات التى دارت أمس وأن الجنرال (ديجول) مازال متردداً في تحديد موقف فرنسا.. على الرغم من أنه يسلم بأن اسرائيل قد بدأت بالعدوان.. وأنه يجب أن تجلو عن الأراضى التى تحتلها.

ولم يكن الجنرال (ديجول) من تقدم فقط باقتراح القمة الرباعية لكن زاد على ذلك أنه قال في تصريح رسمى أن فرنسا ستحدد موقفها من هذه الأزمة على أساس الطرف الذي بدأ باطلاق النار أولاً.. وأن فرنسا ستقف ضد من أطلق الرصاصة الأولى.

أما موقف السوفييت فكان الإصرار على ضرورة سحب العدوان.. وسحب القوات الاسرائيلية من كل الأراضى المحتلة.. وأنها البداية الأساسية لحل القضية وعدم توضيح موقف فرنسا.. ذلك يعتبر انضماماً للقوة الأمريكية.. ونفي (ديجول) هذا الموقف بشدة ولكنهم شعروا أنه بدأ يتخذ موقفاً أوضح.. ويشعرون أن فرنسا وقعت تحت التأثير الأمريكى في الداخل والخارج وأنه يجب مواجهته بضغط متزايد من الاتحاد السوفيتى.

وعندما حضر الاتحاد السوفيتى كان يقدم نفسه كوسيلة للاتصال وحيدة ومتفردة.. وكانوا يشرحوا لنا كيف كانوا يتصرفون مع المواقف الفرنسية وكيفية الضغط.

وقد طلبنا بعد يومين أن تتصل الجزائر بـ(ديجول) وذهب وقتها رئيس الجزائر الحالى عبدالعزيز بوتفليقة[1] وكان رئيس خارجية مع (بومدين) و(عبدالرحمن عارف).. ولم يكن (ديجول) يتحدث نقلاً عن (كوسيجين) أنهم يزيدون في دورهم.. ويقدم تقرير بطريقة أوضح.. وقال أن بوتفليقة قابل (ديجول) أمس وسأله عن أسباب عدم وضوح موقف فرنسا ضد العدوان الاسرائيلى.. فأجابه أنه ينتظر أيضاح الموقف السوفيتى.. وأن

---

(١) عبد العزيز بوتفليقة من مواليد ٢ مارس ١٩٣٧ رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. في يناير ٢٠٠٥ عين من قبل المؤتمر الثامن رئيساً لحزب جبهة التحرير الوطني. ولد بمدينة وجدة المغربية.. ودخل مبكراً خضم المقاومة من أجل قضية بلاده..حيث التحق بعد نهاية دراسته الثانوية بصفوف جيش التحرير الوطني الجزائري وهو بعد في التاسعة عشرمن عمره في ١٩٥٦.

السوفييت كانوا عائدين من أمريكا.. وأن الرئيس الأمريكى مصمم على أن يتخذ موقفاً معيناً.. وأن السوفييت يحاولوا زحزحته عن هذا الموقف لكن لا يبدو أن هناك نتائج واضحة يمكن الاعتماد عليها لاتخاذ مواقف حقيقية.

ونقل بوتفليقه عن (ديجول) اعتباره أن مشكلة الشرق الأوسط صدى لحرب فيتنام[1] وأن أمريكا مع العدوان الاسرائيلى ويرى ضرورة إيجاد الطرق لوقف السيطرة الأمريكية التى زادت بشكل مطلق.. وأنه استفسر عن موقف الجزائر فأكد بوتفليقه له تسلميها واستمرارها حتى النهاية.. وسأله عن الرئيس عبد الناصر فقال له أنه لم يره أكثر هدوءاً وصلابةً عنه الآن وحثه (ديجول) على الحرص على التضامن بين الجزائر ومصر وأبلغه تصميمه على انسحاب اسرائيل وعدم السماح لها بتحقيق أى مكاسب.

أما عن كلام (كوسيجين) والذي نقله لنا سفير الاتحاد السوفيتى فقد كان يحمل نبرة مختلفة عن تلك النبرة التى يحملها كلام بوتفليقه.

وحدث بعد ذلك أن جاء وفد برلمانى من الجمعية الفرنسية يريد زيارة القاهرة.. وكان متقدماً بطلب لزيارة القاهرة قبل الأزمة.. وبعد الأزمة وافقنا على حضورهم.. وجاء الوفد الفرنسى ليدرس كيف جرت هذه الأزمة وكيف أديرت هكذا في ظل ظروف بالغة الصعوبة.. وكيف تحرك فيها أناس كثيرين جداً لأنه بالفعل وضعت دراسة في الدبلوماسية.. الرسمية.. والطرق الجانبية ودبلوماسية عامة.

---

(١) حرب فيتنام أو الحرب الهندوصينية الثانية كانت نزاع بين جمهورية فيتنام الديموقراطية (الشمالية).. متحالفة مع جبهة التحرير الوطنية.. ضد جمهورية فيتنام (الجنوبية) وحلفائها (وكانت الولايات المتحدة الأمريكية إحداهم) اندلعت الحرب بين ١٣ سبتمبر ١٩٥٦ و١٧ يونيو ١٩٧٥ بدأت قوات الفيت منه في الجنوب في التمرد على حكومة ديم.. وقد عُرف هؤلاء بالفيت كونج.. وفي عام ١٩٥٩أعلنت فيتنام الشمالية تأييدها لهذه الفئة وأمرتها بشن كفاح شامل ضد حكومتها.. وفي عام ١٩٦٠.شكل الثوار جبهة التحرير الوطنية التي أوكلت إليها مهمة قيادة الثورة. ورويداً رويداً تشعبت الحرب وازدادت ضراوة.. وكانت بداية تدخل الولايات المتحدة في الخمسينيات بعد أن شرعت في إرسال مستشارين مدنيين وعسكريين لفيتنام الجنوبية.. وبحلول عام ١٩٦٥ بدأت في إرسال قوات عسكرية وشن غارات جوية على فيتنام الشمالية. واستمر التورط الأمريكي في هذه الحرب حتى عام ١٩٧٣ علماً بأن الصين والاتحاد السوفييتي كانا يمدان فيتنام الشمالية والفيت كونج بالأسلحة والإمدادات.. كانت الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية وتايلند وأستراليا ونيوزيلندا والفلبين متحالفة مع فيتنام الجنوبية.. بينما تحالف الاتحاد السوفياتي والصين مع فيتنام الشمالية.. انتهى الغزو الأمريكي في ١٧ يونيو ١٩٧٥ باتحاد فيتنام الشمالية والجنوبية.

وعندما أتى الوفد البرلمانى في ذلك الوقت كان عبد الناصر غير مستعد لمقابلة أى وفود خارجية وهذا طبيعى.. وقابله نائب رئيس الجمهورية السيد زكريا محيى الدين[1].. وعندما جلس مع الوفد أبلغه رئيس الوفد جاكسون صراحة أنهم تلقوا من الجنرال (ديجول) توجيهات مباشرة وبدأوا في الحديث مع زكريا محيى الدين وكان موجوداً وقتها السفير جمال منصور وكان رئيس إدارة غرب أوروبا في وزارة الخارجية وسجل محضراً بما جرى وقال فيه إنهم يريدون حل المسائل بطريقة سلمية.. وعاتب رئيس الوفد الفرنسى زكريا محيى الدين وقال له أنه يجب أن تكون هناك حرب عصابات.. وإلى آخر مدى الحرب يجب أن تكون شعبية.. وكان رد زكريا أننا لن نكون في حرب شعبية.. ولابد للرئيس أن يدرس الموقف دراسة جيدة ليتوصل لهذه النتائج.

ولم يحضر الرئيس المقابلة في ذلك الوقت.. ولكن في ذلك الوقت كان هناك شخصية مغربية - لن أقول اسمها في الوقت الحالى - على اتصال بالمكتب العسكرى للجنرال (ديجول).. وبشكل ما كان يرغب الجنرال (ديجول) أن يسمع أشياء عن مصر دون مصادر رسمية.. ولديه أشياء يريد السؤال عنها.

---

(١) زكريا عبد المجيد محيي الدين كان أحد أبرز الضباط الأحرار علي الساحة السياسية في مصر منذ قيام ثورة يوليو.. ورئيس وزراء ونائب رئيس جمهورية.. عرف بميوله يمين الوسط.. ولد في ٥ يوليو عام ١٩١٨ في كفر شكر بمحافظة القليوبية بمصر.. التحق بالمدرسة الحربية في ٦ أكتوبر عام ١٩٣٦.. ليتخرج منها برتبة ملازم ثاني في ٦ فبراير ١٩٣٨ وفي منقباد عام ١٩٣٩ التقي بجمال عبد الناصر.. ثم سافر إلي السودان في العام ١٩٤٠ ليلتقي مرة أخرى بجمال عبد الناصر.. ويتعرف بعبد الحكيم عامر.. عام ١٩٤٨ سافر إلي فلسطين.. فأبلي بلاءً حسناً في المعارك هناك.. وتطوع أثناء حرب فلسطين ومعه صلاح سالم بتنفيذ مهمة الاتصال بالقوة المحاصرة في الفالوجا وتوصيل إمدادات الطعام والدواء لها.. انضم زكريا محيي الدين إلى تنظيم الضباط الأحرار قبل قيام الثورة بحوالي ثلاثة أشهر.. وكان ضمن خلية جمال عبد الناصر.. شارك في وضع خطة التحرك للقوات وكان المسئول علي عملية تحرك الوحدات العسكرية.. وقاد عملية محاصرة القصور الملكية في الإسكندرية أثناء تواجد الملك فاروق الأول بها.. وتولي فيما بعد منصب مدير المخابرات الحربية بين عامي ١٩٥٢و ١٩٥٣.. ثم عُينَ وزيراً للداخلية عام ١٩٥٣ أُسند إليه إنشاء جهاز المخابرات العامة المصرية من قبل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في ١٩٥٤. عين بعد ذلك وزيراً لداخلية الوحدة مع سوريا ١٩٥٨ تم تعينه رئيس اللجنة العليا للسد العالي في ٢٦ مارس ١٩٦٠ قام الرئيس جمال عبد الناصر بتعيينه نائباً لرئيس الجمهورية للمؤسسات ووزيراً للداخلية للمرة الثانية عام ١٩٦١. في عام ١٩٦٥ أصدر جمال عبد الناصر قراراً بتعينه رئيسا للوزراء ونائبا لرئيس الجمهورية.. عندما تنحي عبد الناصر عن الحكم عقب هزيمة ١٩٦٧ ليلة ٩ يونيو أسند الحكم إلي زكريا محي الدين.. ولكن الجماهير خرجت في مظاهرات تطالب ببقاء عبد الناصر في الحكم.. فتقدم محيي الدين باستقالته.. وأعلن اعتزاله الحياة السياسية عام ١٩٦٨ شهد زكريا محيي الدين.. مؤتمر باندونج وجميع مؤتمرات القمة العربية والإفريقية ودول عدم الانحياز.

مقابلة مع (شارل ديجول)

وبالفعل بدأنا العمل في هذا الموضوع وكنت متحمساً له.. وكان الرئيس يريد القيام بما هو ممكن.. وقال له إنه لن يتحدث معه في شيء محدد لكن يريد أن يسأل عن أشياء يريد فهمها أكثر.. وفي ذلك الوقت أيضاً كانت هناك محاولة لتوفير وقت لـ((محمود رياض)) وزير الخارجية الذي مر على باريس وهو في طريقه للجمعية العامة للأمم المتحدة.. وعندما علمت سألت الرئيس عبد الناصر هل هناك داع لذهابى؟ وكان رأيه أننا قد نتكامل ولا نتقاطع.. وكل واحد يعرف ماذا يقول.. فليس هناك تقاطع.

وقبل ٥ أيام من زيارة (محمود رياض) ذهبت لمقابلة جنرال (ديجول) فوجدته مع أحد أفراد الحاشية العسكرية.. ودخلت من الباب الجانبى المواجه لقصر كاريملين في شارع كاريملين.. ووجدته أمامى وقد وضعنى في موقف محرج للغاية لأنه أول ما دخلت.. وكنت قلقاً قال لى ماذا تريد أن تقول.. وكنت أتوقع أن تبدأ المقابلة بالتحية.. وبعض المجاملات في أول الأمر.. وبعد ذلك ندخل الموضوع طبقاً لما يراه هو.. وقد ارتبكت لبضعت ثوان وبعد ذلك كتبت.. وكان المهم أن أضع (محمود رياض) في الصورة لمعرفة ما حدث.. وكان سيقابله بعدى بخمسة أيام.

وبعد أن سألنى جنرال (ديجول) عما أريد قوله.. ترددت وحاولت التغلب على هذا التردد وقلت له أن ملايين من المعجبين في العالم يتابعون حركة فرنسا الحرة.. وقلت له أنك لا تعرفنى.. لكننى أعرفك وقابلتك قبل ذلك وجهاً لوجه عام ١٩٤٥.. كان ذلك وقتها في مؤتمرٍ صحفيٍ عُقِدَ في القاهرة.. وكنت آنذاك مساعد محرر في الإيجبيشين جازيت.. ولم يكن هو وقتها رئيساً.. وعندما أبدى اهتماماً وقال أنه قضى أياماً سعيدة في القاهرة.. وأن الإنجليز وقتها كانوا مسيطرين علينا.. وأنهم أتعبوه وأتعبونا أيضاً..

ثم بدا الجنرال (ديجول) في التقليل من الإطار الرسمى.. وسألنى عن طبيعة الأزمة.. فحاولت أن أشرح له أزمة خليج العقبة.. فقال لى كل هذا الكلام أعرفه.. وأنه يفهم الوطنية.. ويعرف معناها جيداً.. وأن فرنسا مرت بصعوبات عديدة.. وأنها تحترم فكرة الوطنية.. وأنه لن يُجادل في الانسحاب عندما يجىء الموعد.. وأنه قاد انسحاب الجزائر لتعلن استقلالها.. ثم سألنى عن الحلول فقلت له أننى غير مُخول للحديث عن الحلول.. وأننى أتصور أنه في ظل الاحتلال لا يمكن أن يكون أى معنى لأى كلام عن مفاوضات أو أى كلام عن حلول سلمية.

ثم سألنى عن المستقبل فقلت له في لحظة من اللحظات شيئاً أظنه قد أعجبه عندما قلت له أننى رأيت بعض من خطاباته لـ(جمال عبد الناصر).. وكلها مطبوع عليها جنرال (ديجول).. وليس الرئيس (ديجول) ولا ختم الرئاسة.. فكان رده أن العسكرية كانت اختياره وأن السياسة فرضتها عليه الظروف.. وشعرت وقتها بقيمة هذا الرجل تاريخياً فهو رجل لا يخطىء في فهم ما يتحدث عنه.. وقال أنه رأى عبدالحكيم عامر منذ سنة ونصف.. وأنه كان مارشال في حين أن سنه أصغر من أن يكون مارشالاً.

وسأل عنه فقلت له أنه موجود في القاهرة ومصاب بصدمة بعد ما حدث.. وأبدى استغرابه من حالة الصدمة والانهيار حتى على مستوى الشعب.. وأننا كان لدينا فترة حماس في أول الأمر.. ثم أصبحنا متشائمين.. ثم قال لى انظرو للخريطة واعرفوا موقعكم وحجمكم وحجم إسرائيل.. وأضاف أننا أقوياء بالموقع والحجم.. أقوياء بالموارد التى لدينا.. وأننا ليس لدينا مبرراً أن نصبح قلقين مما يجرى.

وعن زيارة (محمود رياض) والتى كانت بعد أيام قال لى إنه يتمنى لو يأتى رياض باقتراحات محددة.. وطلب منى أن أبلغ (جمال عبد الناصر) أنه يتفهم مشاعرنا وأنه عاش هذه التجربة من قبل.

وبعد هذه المقابلة بخمسة أيام بالضبط قابل (محمود رياض) جنرال (ديجول).. وكنت قبلها قد قابلته وأعطيته فكرة عن كل ما جرى.. وعلى أساس الملاحظات التى كتبتها عن المقابلة.. وبالتالى ذهب (محمود رياض) وهو لديه فكرة عما قاله الروس.. وما قاله بوتفليقة.. ثم أرسل برقية لـ(جمال عبد الناصر) يخطره أنه قابل الجنرال (ديجول) صباح اليوم.. وكانت المقابلة لمدة ساعة.. وكانت ودية للغاية وصريحة.. بل وعاطفية عندما تحدث عن السيد الرئيس وطلب إبلاغه تحياته.. وأشار إلى المصاعب الكثيرة التى صادفها.. وطالب أن يصمد الرئيس أمام المحن التى تواجهه.. وأكد أن مصر في النهاية ستكون لنا.

وكان (ديجول) قد تحدث معى عن موازين القوى في التاريخ.. لكن مع (محمود رياض) كان رأيه أن روسيا لن تستطيع أن تعمل شيئاً في ذلك الوقت وأن كل ما يشغل أمريكا هى فيتنام.. وأنها سعيدة بما حققته اسرائيل.

وعن إنجلترا قال (ديجول) أن إنجلترا لا قيمة لها.. وعلى العرب أن يعتمدوا على أنفسهم.. وهنا كانت كل أنواع الدبلوماسية تتحرك.

وبعد أيام صدرت قرارات تأكيد حظر تصدير أسلحة لإسرائيل وكان هذا وقتها مهماً للغاية.. وأنه كانت هناك أعمالاً دبلوماسية تكاملت فيه كل عناصر الانتصارات من أول الرسمي.. ثم الجانبى.. ثم العام.

وأن الدبلوماسية العامة ظهرت أكثر في علاقتنا مع إنجلترا.. وأريد الاشارة أن الطرق الجانبية تصنع أزمات في أوقات.. وأن الولايات المتحدة توسعت لمساحة الضعف بالضبط عندما تمكن الرئيس الأمريكى جفرسون من شراء كل الولايات الفرنسية في الجنوب وكل حوض المسيسبى.. وعلى امتداد كاليفورنيا.. وأنه قام بهذه العملية صديق لجفرسون.. وكان يعلم أنهم يريدون أموالاً.. فأرسل وقتها وزير خارجيته مونرو لكى يعرف مدى استعداد فرنسا لبيع ممتلكاتها أو مستعمراتها الجنوبية في أمريكا الشمالية.. وكانت عندها جنوب أمريكا كله.. فأبعد جفرسون وزير خارجيته لأنه لفت الأنظار.. وأرسله صديقه ديبون الفرنسى وكان مهاجراً من فرنسا لأمريكا.. وتم عقد الصفقة وضاعفت الولايات المتحدة مساحتها بعمل دبلوماسى جانبى.

❖❖❖